وزارة المعارف

وجه الصواب في درس الآثار

يوفق الله قوما فيلهمهم الرشد ويهديهم إلى الخير فاذا هم يسعون إلى المنفعة سعياً سريعاً منظماً آمناً كل عثار . ويخذل الله قوما فتضطرب عقولهم وتؤخذ عليهم طرق المنفعة ويحال بينهم وبين الحق فاذا هم يتخبطون ، وإذا هم يتقدمون خطوة ليتأخروا خطوات ، وإذا هم يميلون إلى اليمين مرة والى الشمال مرة أحرى ، وإذا هم يتحركون حركة لها ضجيج وعجيج، ولكنها ليست بالمنتظمة ولا بالمنتجة .

يوفق الله قوما فيهتدون إلى الخير . ويخذل الله قوما فيتورطون في الضلال . ولست أدرى أيوفق الله وزارة المعارف في أمر الآثار إلى المنفعة والحق أم يخذلها. وأحسب أن مضى وزارة المعارف في هذا الأمر الذى اعتزمته بعد أن قدم إليها النصح وأشير عليها بالخير ودلت على وجه المنفعة ليس إلا ضربا من ضرو الخذلان . ولقد نيأس من وزارة المعارف ومن استماعها لنصح الناصح أو إرشاد المرشد . فان وزارة المعارف لم تنس عصر الحكم الأوتوقراطي ، وعزيز عليها أن تنساه ، وعزيز عليها أن تطمئن إلى النظم الديمقراطية الجديدة . وإذن فهي إذا رأت رايا مضت فيه غير ملتفته إلى ما يقال خيرا كان أم شرا . وان كان العهد بوزارات المعارف الحرة في البلاد الأخرى إلا تقدم على أمر ذي بال من أمور التعليم حتى تستشير فيه أهل العلم وربما بالغت في ذلك فاستشارت الجمهور والصحف . ولكن ذلك في البلاد الديمقراطية لا في مصر!

نيأس إذن من وزارة المعارف ونعتقد إنها قد تمضى فيما تريد . ولكنا لا نيأس من البرلمان ، وما نزال نعتقد أن البرلمان سيرد وزارة المعارف إلى طريق القصد وسيأخذها بما تفرضه المنفعة الصحيحة والحق . وليس من المنفعة ولا من الحق في شق أن يكون في مصر أغنى متحف لتاريخ الفراعنة وتاريخ مصر أيام اليونان والرومان ، وأغنى متحف لتاريخ مصر في العصر الإسلامي ، وألا تكون في مصر مدرسة نافعة منتجة حقا تدرس فيها هذه الآثار المخزونة في المتاحف والمنبثة في أقطار البلاد. ليس من الحق ولا من المنفعة أن تملا مصر بالآثار وأن تخلو مصر من مدرسة للآثار . فاذا أرادت مصر أن يكون من أبنائها عالم بالآثار أوفدته إلى مدرسة «اللوفر» في باريس أو إلى المتحف البريطاني في لندن أو إلى غيرهما من المعاهد في فينا وبرلين .

ليس من الحق ولا من المنفعة أن تخلو مصر من هذه المدرسة . فاذا أشتد إلحاح مصر في أن تنشأ هذه المدرسة خدعتها وزارة المعارف عن هذه الأمنية بدروس تلقى في مدرسة للمعلمين حول الهيروغليفية وبعض اللغات القديمة لا تنفع ولا تفيد ، ليس ذلك من الحق ولا من المنفعة

، وإنما الحق والمنفعة أن تقدر وزارة المعارف حاجه مصر ومنفعة مصر وكرامة مصر ، وأن تنشئ هذه المدرسة التي تستخزى مصر بأنها غير قائمة فيها ، والتي أن أنشأتها وزارة المعارف لم تكلفها من النفقات شيئا كثيرا .

تعنى وزارة المعارف في مشروعها العقيم بدرس اللغة الهيروغليفية وتخدع الناس فتزعم لهم أن أستاذ هذه اللغة وطلابها سيزورون المتحف المصري ويقومون فيه بشوع من التمرين وسيسيحون في أقطار مصر فيرون الآثار على اختلافها . ولكنا نلفت وزارة المعارف الى أن هذه الزيارات لن تنفع لأنها لن تكون من الاطراد والاستمرار بحيث تمكن الطلاب من أن يتعرفوا هذه الآثار أثرا أثرا، ويتقنوا هذه الفنون المختلفة التي تعلمهم تعيينها وترتيبها وضروب الاستفادة منها . وحسبك أن ميزانية كمال باشا تخصص للسياحة خمسين جنيها !!! وهو مقدار لا يكفي لسياحة فرد واحد في مصر العليا أثناء الشتاء فيكف بطلبه كثيرين وأستاذ كثير الحاجات ! ولكن في الأمر ما هو شر من هذا . فقد تكون العناية بالآثار الفرعونية واجبة، ولكن هناك عناية أخرى ليست أقل من هذه وجوبا وهى العناية بالآثار العربية الإسلامية . العناية بما في دار الآثار العربية وبهذه المساجد والعمارات المنبثة في أقطار مصر وغير مصر والتي يتقن الأوربيون العلم بها نختلف نحن إليها كثيرا دون أن نعرف من أمرها شيئا ، العناية بهذه النقوش العربية المختلفة التي تمثل تاريخ الإسلام وحظ دول الإسلام من الحضارة والرقى الفني . فماذا عملت وزارة المعارف للعناية بالفن العربي والآثار الإسلامية؟ وماذا أعدت وزارة المعارف للعناية بهذا الفن وهذه الآثار؟ وما لوزارة المعارف لم تستشر بهجت بك في إنشاء مدرسة أو قسم في مدرسة المعلمين تدرس فيه هذه الآثار ويخرج لنا طلابا يشعرون بان هناك نقوشا عربية عنّ الأوربيون بجمعها وتفسيرها وتجهلها نحن الجهل كله؟

لم تفكر وزارة المعارف في شيء من هذا وما كان لها أن تفكر في شيء من هذا ، فهي كما قلت لك أمس ضيقة التصور ترى الشع من وجه لا من وجهين ولا من وجوه . ولو أن الله وفق وزارة المعارف إلى الخير لهداها إلى إنشاء مدرسة الآثار التي تدرس الأثار المصرية الفرعونية وآثار مصر أيام اليونان والرومان وأثار مصر في العصر الإسلامي ، والتي لا تمضى عليها أعوام حتي تتجاوز الآثار المصرية إلى الأثار الأخرى السامية والى الآثار الأخرى عير السامية فتصبح معهدا من المعاهد الأثرية المعدودة في العالم كما ينبغي أن يكون الأمر في مصر التي التقت فيها الحضارات المختلفة والتي لا يعرف العالم القديم تاريخا إلا وله فيها اثر ما . ولكن وزارة المعارف أضيق تصورا من أن تدخل في رأسها مثل هذه الفكرة الواسعة . وليس في الأمر شع من الغرابة . فانت لا تجنى من الشوك العنب ، وليس ينبغي أن تطلب إلى غير الفنيين أن يعرضوا لأمر الفنيين . وما كان لرجل من رجال الشوارع أن يرسم لك صورة بيت أو يضع لك مشروع مدرسة للآثار . وإنما هذه أمور يجب أن يرجع فيها إلى أهل العلم بها . والشر كل الشر أن وزارة المعارف عرضت لمالا نتقن . ولو أن في مصر إدارة مستقلة للفنون والآداب كما دعونا إلى ذلك الف " لا مره حسنت هذه الإدارة تصور هذا

الأمر والقيام على تنفيذه تنفيذا نافعا مفيدا . لكن الله أراد أن تشرف وزارة الأشغال على دور الآثار وأن تتعرض وزارة المعارف لما لا تجيد .

حدثني وزير المعارف حين زرته أخيرا أنه يفكر في إنشاء إدارة الفنون ، وأنه قد كتب في ذلك تقريرا سيرفعه إلى الحكومة . فاذا كان هذا حقا ، وما نشك في أنه حق ، فما بال المعارف يبنى أعلى البيت قبل أن يبنى أسفله؟ وما بال وزير المعارف لا يوجه همه وزير إلى إنشاء هذه الإدارة قبل كل شع؟ فاذا تم تكوينها واستقلت بأمورها عن المهندسين والمشرفين على تنظيم المباني وتوزيع الصدقات كلفت هذه الإدارة أن تنشع ما تحتاج إليه من المدارس ومعاهد البحث . أليس هذا هو الخير؟ أليس هذا هو الصواب؟ بلى ! هو الخير وهو الصواب . ولكن متى عهدت وزارة المعارف تحسن السعي إلى الخير أو إلى الصواب

صدقني يا معالى الوزير أن الحق عليك لمصر أن تنشى أولا إدارة للفنون ومن الآداب تجمع للمتحف المصري ودار الآثار العربية ودار الكتب المصرية والأوبرا الملكية ومدارس الفنون على اختلافها . فاذا تم إنشاء هذه الإدارة وتنظيمها استطعت أن تستشير «لاكو» وبهجت وأعوانهما الفنيين في إنشاء مدرسة مصرية يدرس فيها المصريون وغير المصريين الآثار المصرية وغير المصرية .

هذا هو الحق وهذه هي المنفعة . فانصرف إلى الحق والى المنفعة ولا تخدعنك هذه المشروعات التي ليست في حقيقة الأمر إلا ألفاظاً خلابة براقة دون أن يكون وراءها نفع ولا غناء .

طه حسين

السياسة ، ١٣ يولية ١٩٢٣ ٠